المقدمة

obeikandl.com

المقدمة

كان الاتجاه الذي أتبعه المؤرخون في دراسة المغرب هو الاهتمام بالجانبين السياسي والثقافي ، رغم أن الجانب الاقتصادي له أهمية كبرى في تفسير كثير من التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية ، ولكن يشوب الجانب الاقتصادي أن مادته مشتتة مبعثرة بين ثنايا المصادر ، وكان علينا أن نلتقط منها ما يفيدنا في دراسة أحوال التجارة الداخلية في المغرب الأقصى وتحليلها للوصول إلى الحقائق التاريخية التي تعيننا على فهم هذا الموضوع للوصول إلى النتائج التي توضح أحوال التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين محل الدراسة.

فبعد وفاة محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين انتقل الحكم إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي ٥٢٤هـ - ١١٣٠م ، ومعه قبائل المصامدة . وفى ٥٤١هـ - ١١٤٥م استطاع عبد المؤمن بن على القضاء على دولة المرابطين وورثت دولة الموحدين عن دولة المرابطين ممتلكاتها في المغرب الأقصى والأندلس . وأصبحت دولة الموحدين دولة قوية ، ضمت بلاد المغرب بجميع أقسامها ، وكذلك الأندلس ، واستطاع الموحدون تكوين اكبر دولة في تاريخ المغرب . وأصبحت حدود دولة الموحدين حتى برقة مع حدود مصر ، مما مهد لها حياة مزدهرة في النواحي السياسية والاقتصادية ، فقد كثرت مواردها الاقتصادية فاتخذ عبد المؤمن بن علي إجراءات لازدهار موارد الدولة الاقتصادية منها :

١- مسح أراضي الدولة الزراعية ، حصراً دقيقاً وبيان لسكانها وخواص كل ولاية وثروتها وغلاتها ، حتى يتم تقرير الخراج على الأرض .

٢- عمل على حماية التجار وقطع جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون من قبل .

٣- إشاعة الأمن وتامين السبل للقوافل والتجارة في جميع أرجاء الدولة وحتى سواحلها ، مما ساعد على انتعاش التجارة الداخلية .

٤- فقد اهتم بالعملة وزاد وزنها فأصبحت أربعة جرامات وسبعين في المائة من الجرام في عصر الخليفة الثالث المنصور الموحدي سنة ٥٨٠هـ - ١١٨٤م الذي وصلت الدولة في عصره إلى ذروة مجدها .

وقد اهتم بالأسواق في الدولة عن طريق المحتسب (الأمين – صاحب السوق) الذي يتابع أحوال السوق ومحاسبة أي مخطئ في السوق ، وكان المحتسب وأشياخ البلد يقابلهم الخليفة مرتين في الشهر .

وظلت الحياة الاقتصادية (زراعية – صناعية – تجارية) مزدهرة حتى أصبحت مدن المغرب الهامة مثل مراكش وفاس وسبتة وطنجة وسجلماسة وأغمات من أهم المراكز التجارية في المغرب الأقصى ، ولكن هذا الازدهار في الاقتصاد والتجارة تعرض لاضطراب في أواخر عصر الناصر محمد ، حيث تعرضت الدولة لهزيمة في موقعة العقاب من نصارى اسبانيا ٦٠٩هـ – ١٢١٢م حيث بدأت مرحلة الضعف السياسي والاقتصادي . وتفتت بلاد المغرب إلى دويلات ثم سقوط الأندلس في يد الأسبان النصارى فأعقب ذلك غلاء ومجاعات اجتاحت المغرب كله ، ثم سقطت دولة الموحدين ٦٦٨هـ – ١٢٦٩م على يد بني مرين .

أما على صعيد المنهج الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة ، فقد نظرت إلى المادة التاريخية برؤية تكاملية تجمع بين الوصف والتحليل وتنطلق من طبيعة الموضوع نفسه ، مع إبداء الرأي إذ أمكن ، واستنباط النتائج التي تمكنت عن طريقها أن نصوغ الأفكار الجديدة صياغة علمية .

وقد اشتملت الرسالة على تمهيد وخمسة فصول . وقد جاء في التمهيد " نبذة عن دولة الموحدين (مؤسسها ـ عصريها ـ حكامها ـ نهايتها) ، وجغرافية المغرب الأقصى ، وحدوده ، وأقاليمه ، ومدنه .

وقد تحدثنا في الفصل الأول عن " العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب الأقصى : (مراكش ـ فاس ـ سبته ـ طنجة ـ سجلماسة ـ أغمات)

فأشرنا إلى العوامل التي أثرت في هذه المراكز من عوامل (جغرافية ـ سياسية ـ اجتماعية) ، ثم أشرنا إلى وسائل النقل في عصر الموحدين ، وأهم الطرق الداخلية في المغرب الأقصى من (برية ـ نهرية ـ بحرية) لأهمية الطرق ودورها في التجارة .

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة " الأسواق في مدن المغرب الأقصى " فتحدثنا عن تعريف الأسواق ، وموقع الأسواق ونظمها في مدن المغرب الأقصى ، وأنواع الأسواق من يومية وأسبوعية وموسمية ، وتحدثنا عن أسواق أخرى يطلق

عليها القيسارية ، ثم تناولنا العاملين في الأسواق ودورهم في التجارة مثل الموثقين والدلالين والسماسرة وغيرهم .

أما في الفصل الثالث فقد عرضنا دور " الرقابة على الأسواق وإدارتها " فتحدثنا عن دور المحتسب (العامل على السوق) وأوضحنا انه كان يطلق عليه في دولة الموحدين اسم الأمين ودورة في الأسواق . ثم النظم التجارية ، واهم السلع في مدن المغرب الأقصى المتبادلة بينهم ، ثم تطرقنا إلى الأسعار ، وأثر الدولة على الأسعار من ارتفاع الأسعار في فترة الاضطرابات والضعف والانهيار وفرض الضرائب ، وانخفاض الأسعار وانتشار الرخاء والأمن في فترة قوة الدولة وازدهارها والالتزام بالشريعة الإسلامية من موارد مالية . فضلا عن تناولنا لنظم الأوزان والمكاييل والمقاييس في عصر الموحدين ، كما أوضحنا طرق البيع والشراء في المغرب الأقصى ، ودور المنشآت التجارية (الفنادق) في التجارة الداخلية ، في مدن المغرب الأقصى .

وتحدثنا في الفصل الرابع عن " المعاملات المالية والتجارية " وقد اشرنا إلى العملة الموحدية فقد حدث فيها تعديلا على شكل العملة وجعلته مربع الشكل ، بينما كان فيما سبق مدوراً. ومن الملاحظ على عملة الموحدين أنها لم تكن تحمل تاريخ الضرب ولا المكان الذي سُكت فيه ، إلا ما قل منها يرسم عليه في آخر الكتابة وبحروف ضئيلة اسم المدينة أما تاريخ الضرب فلا وجود له فيها ، مخالفين بذلك العملة الإسلامية التي ضربت في سائر الأقطار . وضرب العملات الصغيرة ما يطلق عليه الفلوس ، ودور المنصور في وزن العملة الموحدية . وتحدثنا عن المعاملات التجارية ودورها في التجارة مثل السفاتج ، والصكوك ، والحوالات . ثم تحدثنا عن المكوس وأوضحنا أن دولة الموحدين قد التزمت في عصرها الأول بالشرع وما فرضه الشرع في الكتاب والسنة ، أما في العصر الثاني عصر الضعف فقد فرضت ضرائب .

وفى الفصل الخامس " طبقات التجار " أبرزنا عناصر التجار ودورهم في الحياة الاقتصادية ، وخاصة دور أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وموقف الدولة من أهل الذمة في عصر عبد المؤمن بن على ، ثم موقف الدولة الموحدية بعد ذلك. ثم تحدثنا عن تنظيمات التجار من تجار جملة وتجار تجزئة وباعة جائلين ، كما تحدثنا عن علاقة التجار بالدولة .

وبعد لعلى أكون قد وفقت في عرض الموضوع عرضاً تاريخياً وأبرزت أهم جوانبه ، وأنى لأتقدم بالشكر أ. د/ حورية عبده عبد المجيد سلام ، التي كان لها عظيم الفضل بعد الله في إتمام هذا العمل فقد كان لتوجيهها أثر كبير في دراسة هـذا الموضوع ، ولقد وافتها المنية قبل مناقشة الموضوع فأسأل المولى عز وجـل أن يغفر لها ويرحمها وأن يكون هذا العمل في مـيزان حسناتها . كما أتقـدم بالشـكر أ. د/ منى حسن محمود ، على تحملها مسئولية الإشراف على هذا البحث ، ولا أستطيع أن أوفيها حقها بالشكر إلا أن أقول"جزاك الله خير الجزاء" ولكن ظروف المرض حالت دون ذلك ، ونسأل المولي عزوجل أن يشفيها ، كما أتقدم بالشـكرللجنة المناقشة أ. د/ عطية أحمد القوصي و أ. د/ محمد بركات البيلي و أ. د/سامية مصطفي مسـعد ، اللذين تجشموا مشقة قراءة هـذه الرسـالة ومناقشتها و أ. د/ محمود عرفه و أ. د/ محمد عفيفي رئيس القسم ، ولكل أساتذة قسم التاريخ .

وأتقدم بالشكر لكل من ساعدني ولو بكلمة، من زوجة وأبناء وأخوة وأصدقاء ومن ساعدني في مكتبات الجامعة والمعهد الأفريقى ودار الكتب وغيرهم .

وأرجوا العذر عن أي نقص في العمل، فالكمال من الله وحده، والنقص منى.

وأسأل الله أن يجزى الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخرة ، فهو نعم المولى ونعم النصير، وأن يغفر لوالدي وللمؤمنين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

والله ولى التوفيق · **الباحث / محمد على أحمد قويدر**

دراسة في المصادر

اعتمدت في إعداد الرسالة على عدد كبير من المصادر المغربية والمشرقية سواء مخطوطة أو مطبوعة فضلاً عن المراجع العربية والمعربة والمراجع الأجنبية والدوريات والمعاجم .

فعلى صعيد المخطوطات ، فقد اعتمدت الرسالة على مخطوط لمؤلف مجهول واسمها " ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين " وقد أفدت من هذا المخطوط نظراً لان المخطوط في جملته يقدم دراسة للنشاط الاقتصادي للتجار اليهود، مع عرض لأهم الأعمال الاقتصادية التي اشتغلوا بها من حرف وصناعات مختلفة ، ثم تحولهم إلي فاس الجديدة في عهد المرينيين ، ومحاولتهم للسيطرة على التجارة واختلاف الحال في عهد السعديين ، وانتهى المخطوط بوفاة المولى إسماعيل في عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦ م.

والمخطوط الثاني الذي استعنت به هو " رسالة في ذكر من أسس فاس " وترجع أهمية المخطوط لكون مؤلفه كان معاصراً للدولة المرينية ، وقد قام المؤلف بكتابة هذا المخطوط وإهدائه للوزير أبى على عمر بن عبد الله أحد وزراء الدولة المرينية ، التي أتت على الدولة الموحدية . وهو يعتبر شاهد على الدولة الموحدية. والمخطوط يتكون من بابين يتحدث في الأول عن دولة الأدارسة مؤسسي فاس وسكانها ، والباب الثاني في ذكر من أدارها بالأسوار وزاد فيها وذكر ما انتهت إليه من الدور والارحاء والحمامات .

أما من المصادر المطبوعة ، فقد قدم لنا المؤرخ ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد ابن محمد) (المتوفى في القرن السابع الهجري) – (ويقال أنه كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) في كتابه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " ، القسم الثالث ، فقد تناول أخريات دولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، وصور لنا تلك الفترة الانتقالية خير تصوير بأحداثها المتشابكة من أحداث سياسية وعسكرية لبلاد الأندلس والمغرب ، ويشير للحالة الاقتصادية، فقد عاصر نهاية دولة الموحدين.

أما عبد الواحد بن على المراكشي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" وهو يعد شاهد عيان للأحداث التي

جرت في عصر الموحدين ومن المقربين للبلاط الموحدى ، وقد كثر الاستشهاد من هذا الكتاب .

وقدم لنا عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) معلومات أساسية في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر " في الجزء السادس والسابع ومقدمته التاريخية المعروفة ، فقد استفاد منها البحث استفادة عظيمة في دراسة العناصر البشرية لدولتي المرابطين والموحدين وكذلك في الحديث عن النظم العسكرية الشائعة في المغرب وعن بعض المعارك المختلفة لهاتين الدولتين ، وقد قدم هذا الكتاب معلومات عن مستوى الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي .

أما على بن عبد الله بن أبى زرع (ت٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) حيث انتهى في كتابه الأنيس المطرب بأحداثه عند سنة ٧٢٦هـ ويقال انه (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) كتابين مهمين هما " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " و " الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية " ويسير المؤلف على طريق سرد الأحداث دون تقيد بالحوليات في بعض الأحيان ، وفى بعض الحالات يلتزم بها كما جاء في حديثة عن تاريخ المرابطين والموحدين .

ويبدأ الكتاب من سنة ١٧٢هـ بذكر الدولة الإدريسية وينتهي عند أحداث سنة ٧٢٦هـ أي انه يتحدث أيضا عن دولة المرابطين والموحدين وقيام دولة بني مرين، مقدما عبر سرده معلومات اقتصادية متنوعة ، وسياسية ، وعسكرية ، وعمرانية ، إلى جانب إمداده لنا بمعلومات قيمة في الجزء المتعلق بأهم المحن والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البلاد حتى عهد المرينيين . أما كتابه الثاني وهو الذخيرة السنية ، فيتناول فيه نهاية دولة الموحدين وبداية دولة بني مرين (حتى عهد مؤسس دولتهم السلطان يعقوب بن عبد الحق ،وبنائه لمدينة فاس الجديدة) .

أما ابن القطان وهو على بن محمد بن عبد الملك بن يحيى (ت٧٢٨هـ / ١٢٣٠م) فقد استفدنا من كتابه " نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان " من الجزء الذي اشتراه معهد الدراسات الإسلامية بمدريد من أرملة المستشرق الفرنسي (ليفي بروفنسال) وحققه الدكتور/محمود على مكي سنة ١٩٦٢م ، وهذا الجزء يحمل أحداثاً هامة وخاصة الفترة التي ظهر فيها (المهدي بن تومرت ، وعبد المؤمن بن على) وتحدث عن المعارك التي دارت بين المرابطين والموحدين في مراحل نهاية الدولة المرابطية وبداية دولة الموحدين .

وأما أبو الحسن الجزنائى (ت ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م) مواليد القرن الثامن الهجري، وكتابه " جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس "ليعطى لنا وصفاً تفصيلياً لبناء مدينة فاس وذكر أسوارها وقناطيرها ووصف جامعها ، مع إحصاء ما بها من المساكن والمتاجر في العهد الموحدى والمرينى ، ومعرفة أهم المنشات التجارية والاجتماعية .

أما لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) فقد جاءت مؤلفاته حافلة بالكثير من المعلومات ، فلا يخفى أن شخصية ابن الخطيب لعبت دوراً هاماً في الحياة السياسية والحضارية لتاريخ بلاد المغرب والأندلس فقد تقلد مناصب سياسية بغرناطة فاستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) وبعد عودته من المنفى استوزر (سنة ٧٦٣هـ /١٣٦١م) ، ومن كتبه " أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ــ والإحاطة في أخبار غرناطة ــ و معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، فيعد من الكتب التي أوردت معلومات اقتصادية عن مدن المغرب ــ وتاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام ــ ومجموعة من رسائله ــ ورحلته المسماة نفاضة الجراب في علال الاغتراب ، فقد ركز فيها على وصف المناطق التي مر بها في المغرب ، فعكس من خلال مشاهداته طبيعة النشاط الزراعي ، وحالة البلاد السياسية .

أما إسماعيل بن الأحمر (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٤م) الذي أفرد ثلاثة كتب الأول " بيوتات فاس الكبرى " الذي افرد فيه لذكر العائلات الكبرى في فاس منذ نشأتها حتى العصر المرينى ، مما أفاد في التعرف على أشهر العائلات التجارية بالمدينة . والكتاب الثاني " روضة النسرين في دولة بني مرين " الذي ضم بعض المعلومات الاقتصادية الهامة وأيضا معلومات عن نظم الإدارة والوزارة والحجاب في الدولة المرينية . أما الكتاب الثالث " النفحة النسرينية واللمحة المرينية " الذي قدم من خلاله معلومات تاريخية عن سلاطين المرينيين .

وكذلك أحمد بن خالد السلاوى الناصري (ت ١٣١٥هـ /١٨٩٧م) وكتابه " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " واستخدمت أجزائه المختلفة وخاصة الثالث والرابع . والمعلومات التي وردت في هذا الكتاب تكاد تتطابق مع ما كتبه ابن خلدون لان المؤلف كثيراً ما نقل عنه ، ولكن ترجع أهمية هذا الكتاب لما يحتويه من معلومات أخرى نقلها عن بعض المؤرخين كالمقري ، وابن أبى زرع، وبعض المؤرخين الأسبان .

أما عن الكتب الجغرافية فقد ساعدتنا نظراً لما تتضمنه من معلومات عن الصناعات الزراعية والطرق التجارية وعناصر السكان وأعمالهم وحياتهم ، فنذكر من كتب الجغرافيين الذين تناولوا بلاد المغرب الأقصى مثل ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على البغدادي ت ٣٨٠هـ /٩٩٠م) ففي كتابه " صورة الأرض " فقد جمع مادته أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة ، فقد طاف في بلاد المغرب حتى درعه ودخل الصحراء حتى اودغست ، وقد وصف المعاملات التجارية ووصف الطرق من المغرب الأقصى وخاصةً من مدينة سجلماسة إلى اودغست إلى بلاد السودان وأنواع السلع بين المغرب والمشرق وبلاد السودان ووجود وكلاء للتجار لتوفير السلع ، كما أشار إلى نشاط البربر وخدمتهم للقوافل والضرائب التي كانوا يفرضونها على العابرين بديارهم . ووضحت الخريطة الملحقة بكتابه بلاد المغرب والسودان والمشرق .

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز المرسى) (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٧م) وكتابه " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، فقد استفاد البحث بهذا الكتاب حيث وصف مدن المغرب الأقصى والمسافة بينهما ، وأنواع الأوزان والمكاييل ، والطرق التجارية بين مدن المغرب وبلاد السودان ومصر وأنواع السلع .

أما أبو عبد الله محمد بن محمد الأدريسى (ت ٥٦٠هـ /١١٦٤م) في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق "تلك الكتاب الذي تناول مدن المغرب بأكملها ، كما رصد الطرق التجارية وذكر المسافات بين المدن . ويعتبر شاهد عيان على دولتي المرابطين ودولة الموحدين .

وكذلك عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت ٨٦٦هـ /١٤٦٣م) في كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار " الذي يعد موسوعة جغرافية في رصده لكافة العالم الإسلامي ، فأفادنا في التعريف لمدن المغرب الأقصى وأهم النواحي الاقتصادية لكل مدينة .

وأما ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) في كتابه " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " وكتابه " وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، المقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " . فقد رسم لنا خطوطا أساسية للزراعة والصناعة والتجارة ، ووصفة لخصائص بعض المدن المغربية .

أما عماد الدين إسماعيل صاحب حماة (أبو الفداء) (ت٧٢٢هـ/١٢٣١م) في كتابه " تقويم البلدان " يحتوى على معلومات قيمة عن المراكز التجارية وتحديد أقاليمها وفقاً للمنهج الذي اتبعه ، وهو تحديد مصادر معلوماته ثم تحديد الموقع ثم ضبط الأسماء فالإخبار عن المراكز المشار إليها ، ولم يتكلم عن الطرق بالتفصيل واعتمد كثيراً على ابن سعيد ، والإدريسي ، والبكري .

أما ياقوت الحموي ،أحمد بن شهاب الدين بن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) في كتابه " معجم البلدان " وقد أفاد في معرفة المدن والمسافة بينهما ، وأهم زراعات بعض المدن . وقد نقل عن ابن حوقل ، والبكري ، والمهلبى ، بالإضافة إلى مصادره الأخرى .

وقد حفلت كتب الرحلات بموضوعات اقتصادية ، وفى مقدمتها كتاب " وصف إفريقيا " للحسن الوزان المعروف بـ " ليون الإفريقي " (ت ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م) الذي جاءت رحلته أصدق مرآه للمجتمع المغربي ، فقد وصف أغلب مدن المغرب وأقاليمه ، وأهم الصناعات والحرف الموجودة في مدن المغرب، مع عرضه لأهم مظاهر الحياة الاجتماعية بها ، وقد وصف مدينة فاس وأسواقها وقيساريتها وأنواع المتاجر والسلع في كل سوق ، والمبادلات التجارية بين مدن المغرب . لذا جاءت الفائدة منه كبيرة في التجارة الداخلية للمغرب الأقصى .

أما أبى محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) في كتابه " رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار " الذي تضمن معلومات اقتصادية بين بلاد المغرب والبلدان التي رحل إليها من حيث الثروات الحيوانية والزراعية والتجارية كذلك عرض للمكاييل والأوزان والنقود ، والسلع المتبادلة بين المغرب والسودان .

أما ابن الحاج النميرى ، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢) في رحلته " فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب " فأورد معلومات مهمة عن بعض الصناعات والمنشآت المعمارية ، فأبن الحاج عمل كاتباً وتولى أعمال أخرى في العصر المرينى .

ولا يقل كتاب " أفريقيا " لمارمول كرفجال (القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي) أهمية وفائدة عن مدن المغرب الأقصى ، فكتاب أفريقيا يفيد الباحثين في جغرافية افريقيا وتاريخها .

وقد اعتمدت على عدد من كتب الفقه والنوازل فهي عبارة عن القضايا التي رفعت إلى رجال القضاء والفتوى للنظر فيها ، وعادة ما تذكر القضية كما حدثت

بأشخاصها ، ووقائعها مع ذكر من رفعت إليه وكثير من هذه النوازل كانت تتعلق بالقضايا الدينية والاقتصادية والاجتماعية ، فأفدت منها في التجارة الداخلية في المغرب الأقصى ، وفى الحياة الاجتماعية .

وقد استعنت بكتاب " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب " لأحمد بن يحيى الونشريسى (ت٩١٤هـ/١٠٨٥م) وقد حوى فتاوى الفقهاء في سائر أوجه الحياة ، وتناول المشكلات التي تتعلق بها ، وضم معلومات مهمة عن التجارة والعاملين بها ونظم التعامل بالأسواق والزراعة وأهم محاصيلها ، وعن الآفات الزراعية والاضطرابات الاقتصادية .

ومن الكتب الفقهية " بداية المجتهد و نهاية المقتصد " لابن رشد ، أبى الوليد محمد أحمد الفقيه الإمام (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) وكان معاصراً للمرابطين ثم للموحدين ، وقد أفاد في معرفة دور المحتسب وما تفرضه الشريعة من زكاة .

أما " المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات ..." لأبى عبد الله محمد بن محمد بن الحاج النميرى الفاسى (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م) فقد انفرد بتقديم معلومات عن البضائع والسلع التي كانت متداولة بين التجار في الأسواق ، ووظيفة المحتسب في فاس ، وعلاقاته مع أرباب المهن المختلفة ، وبعض المظاهر الاجتماعية .

ومن المصادر الاقتصادية كتاب " الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة " لأبى الحسن على ابن يوسف الحكيم (٧٦٨هـ/١٣٦٦م) حيث عمل في دار السكة بفاس ، فجاءت معلوماته دقيقة ومفصلة عن صناعة النقود ابتداءً من مصادر جلب المعدن مروراً بتصنيعها وطرق تداولها بين الناس، كما ذكر لنا الأوزان والمقاييس والمكاييل، كما أبرز لنا طرق التدليس والتزييف للعملة ودور اليهود وأساليبهم في ذلك .

ومن بين المراجع العربية الحديثة كتاب " التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم " لعبد الهادي التازى ، وقد ذكر فيه الاتفاقيات والبضائع المتداولة بين الدول ، مستنداً في ذلك إلى الوثائق المحفوظة لدى تلك الدول .

ومن كتب المستشرقين التي تناولت تاريخ المغرب الأقصى ، روجيه لوطورنو، في كتابيه " فاس قبل الحماية " و " فاس في عصر بني مرين " فقد تناول الحياة داخل المدينة بكثير من التفصيل في شتى المجالات ، كما أعطى لنا وصفاً لأحوال التجار اليهود بالمدينة .

وقد أفادت الرسالة من مصادر ومراجع أخرى كثيرة، كانت خير معين للرسالة.

التمهيد

- جغرافية المغرب الأقصى
- سهول وأودية المغرب الأقصى
- أقاليم المغرب الأقصى ومدنه
- نبذة عن دولة الموحدين
- حكام دولة الموحدين
- نهاية دولة الموحدين

obeikandi.com

- **جغرافية المغرب الأقصى وحدوده :**

المغرب الأقصى هو جزء من بلاد المغرب جغرافياً وإقليمياً ، يرتبط بروابط طبيعية وسياسية وثيقة ، جعلت منه كياناً مستقلاً بذاته[١] فبلاد المغرب تمتد من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي[٢] وقد أصطلح على تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة الإسلامية في الشرق (الأموية – العباسية) وهي:

١) المغرب الأدنى : ويسمى أيضاً أفريقية ويشمل طرابلس وتونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وعاصمته القيروان[٣] أيام الأغالبة[٤] ، والمهدية[٥] أيام الفاطميين[٦] ، ثم مدينة تونس[٧] فيما بعد وحتى اليوم[٨] .

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٤.

(٢) حسين مؤنس : نفس المرجع والصفحة .

(٣) القيروان : أسسها عقبة بن نافع لتكون عزاً للإسلام في بلاد المغرب إلى آخر الدهر . أثناء توليته أفريقية من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م واختار عقبة مدينة القيروان أن تكون بعيدة عن الساحل ولا تكون متوغلة في جوف الصحراء وأن تكون قاعدة للعمليات العسكرية في المغرب لفتح ما تبقى من مدنه. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار الفكر جـ ٣ ص ٢٣٠ ، عبد الرحمن المعروف بأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ابن الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تعليق إبراهيم شبوح ، تونس، ١٣٢٠هـ، القاهرة ١٩٦٨م ، جـ ١ ص٨ ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٤ ، تحقيق حسين نصار ، ومراجعة عبد العزيز الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٢٢ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص٤٢٠ ، عبد الحميد حسين حمودة : أسواق القيروان في عصر الأغالبة ، نشرة خاصة محكمة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ٥ ، ٦

(٤) الاغالبة : قامت في أفريقية من (١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م) وكانت تشمل طرابلس وافريقية (تونس)وجزء من المغرب الأوسط هو إقليم الزاب وكانت دولة الاغالبة تابعة للدولة العباسية . حسين مؤنس : مرجع سابق ص٩٥

(٥) المهدية : أسسها (اختطها) عبيد الله المهدي لتكون قلعة يعتصم فيها هو وجنده وأهله وحشمه وأمواله ، سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م حصن منيع يقوم على رأس بارز في الساحل الشرقي لتونس شمال سوسة . حسين مؤنس: نفس المرجع ص١٤٧

(٦) الفاطميين : تنسب إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها وأنها من نسل سيدنا على ابن أبي طالب وقد دعا إليها في المغرب عبد الله الشيعي واسقط دولة الاغالبة ودخل القيروان سنة ٢٩٦هـ /٩٠٩م وأعلن قيام الدولة الفاطمية وبعث يستدعى الإمام المستتر عبيد الله المهدي من مدينة سَلَمْيَة قرب حلب ببلاد الشام . حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٣٣-١٤٤ ، عصام الدين عبد الرؤف الفقى : مرجع سابق ص ١٦٣-١٨٣

(٧) حسين مؤنس: مرجع سابق ص ٥٦-٥٨

(٨) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : مرجع سابق ص ١٢

٢) المغرب الأوسط : ويشمل بلاد الجزائر ، ويمتد من تاهرت[١] حتى وادي ملوية[٢] وجبال تازة[٣] غرباً ، وقاعدته تلمسان[٤] .

٣) المغرب الأقصى : ويمتد من وادي الملوية شرقا حتى المحيط الأطلسي غرباً وعاصمته بين مدينة فاس في عصر الأدارسة سنة ١٩١هـ/ ٨٠٨م ، ثم جاء المرابطون واختطوا مدينة مراكش سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م واتخذوها عاصمة وظلت في عصر الموحدين ، والمغرب الأقصى يشمل المملكة المغربية اليوم التي عاصمتها الرباط[٥] .

ويتميز المغرب الأقصى بظاهرة جغرافية واضحة جداً ، هي جبال أطلس ، وهي سلسلة تمتد من جنوبه وتسير بمحاذاة الساحل ساحل المحيط الاطلسي شمالاً بشرق ، وإن كانت بعيدة عنه حتى قرب ساحل البحر المتوسط جنوبي منطقة الريف ثم تتجه شرقاً لتتلاشى غرب تونس[٦].

وجبال أطلس تتسع في المغرب الأقصى ويزيد عرضها في جنوبه وتنقسم إلى سلسلتين من جبال الأطلس : الأولى غربية وتسمى الأطلس العليا ، الأخرى شرقية وتسمى أطلس الصحراء ، وتحصران بينهما سهل السوس الخصيب . وتضم هذه

---

(١) تاهرت : تقع بين تلمسان وقلعة بني حماد في (المغرب الأوسط) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص ٧-٩

(٢) وادي ملوية : يقع بين (المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) فهو يفصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، ويجتمع مع وادي صاع ويصبان معاً في البحر المتوسط . الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٢٤٧

(٣) جبال تازة: يوجد بها بعض المدن والأنهار، وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق. الحسن بن محمد بن الوزان الفاسي الزياتي المعروف (ليو الإفريقي) : وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، ومراجعة على عبد الواحد ، جامعة الامام محمد مبن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٣٩٩هـ، ص ٣٥١ – ٣٥٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٢٨

(٤) تلمسان : تقع غرب تاهرت – وتشتهر بالمغرب الأوسط وتتميز بالجبال وسهولة مراعيه الشاسعة وكانت عاصمة دولة عبد الواد بعد سقوط الموحدين ، وتقع بين نهر المولوية في غربها ونهر الواد الكبير في شرقها وصحراء نوميديا في جنوبها . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣٧٨- ٣٧٩ ، حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٢٧ ، عصام عبد الرؤف الفقى: مرجع سابق ص ١٢)

(٥) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : مرجع سابق ص١٢

(٦) حسين مؤنس : مرجع سابق ص٢٥

الجبال هضاباً عالية ، وهى كلها جبال وهضاب وافرة المياه ولهذا فهي خضراء مسكونة ، ويسميها ابن خلدون جبال درن وهى تعتبر مركز الحياة ومصدر العنصر البشرى القوى الذي كان طول العصور الوسطي مورد القوة البشرية الحقيقية في تاريخ المغرب الأقصى[١] .

- **سهول وأودية المغرب الأقصى :**

ويضم المغرب الأقصى سلسلة من السهول الساحليه بين الجبال وساحل المحيط الاطلسي وتشق هذه السهول أنهار أو وديان تنحدر من جبال الاطلس غرباً إلى المحيط وهى من الشمال الى الجنوب وادى لوكس[٢] ويصب عند مدينة العرائش[٣] ووادى سبو[٤] بفروعه الكثيرة وقواعده الشهيرة (مدنه) فاس[٥] ومكناس[٦]، ثم وادى

---

(١) حسين مؤنس : نفس المرجع ص٢٥

(٢) وادي لوكس : يقع في شمال المغرب الأقصى جنوب مدينة طنجه ، ويذكره البكري عند الحديث عن الطريق من مدينة طنجة إلى مدينة فاس . (أبو عبيد الله بن عبد العزيز المرسي البكـــري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتـــاب الإسلامي ، القاهرة ص ١٠٩-١١٠)

(٣) العرائش : مدينة على ضفة المحيط في المكان الذي يصب فيه نهر لقس (لوكس) في (المحيط) ويقع قسم منها على ضفة النهر والجزء الآخر على ساحل المحيط ٠ (الحسن الوزان : وصـــف أفريقيا ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٣٩٩هـــ ، ص ٣٠٢)

(٤) وادي سبو: نهر قرب طنجه من أرض البربر ويحاذى فاس من جهة شرقيها ويأتي مكناس من جنوبها. (معجم البلدان ٣ /١٨٦ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٤-٢٤٧)

(٥) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضرة البحر وأصل مدنه قبل أن تختط مراكش ، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيوناً تسيل إلى قرارة واديها . ويطلق على المدينتين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ، وقد اختطت في عصر الادارسة ١٩١هـــ/ ٨٠٨م . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/٢٣٠ ، البكري : مصدر سابق ص١١٥)

(٦) مكناس : مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البحر الأعظم (المحيط) بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة (وتقع مكناس شمال غرب مراكش) وهى مدينتان صغيرتان على ثنيـــة بيضـــاء بينها وبين حصن جواد ٠ اختط إحداهما يوسف بن تاشفين أمير الملثمين والأخرى قديمة وأكثر شجرها الزيتون ومنها إلى فاس مرحلة واحدة ... تقع مكناس في الطريق بين فاس وسلا علـــى شاطئ البحر (المحيط) فيه مرسى للمراكب . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥/ ١٨١)
مكناس : مدينة في المغرب من قطر فاس إلى جهة المغرب ، وهى أربع مدن وقـــرى كثيـــرة متصلة بالمدن والحصون ، الممدن منها يسمى تاجرارات ، وتفسيره المحله ، وهى كثيرة الثمار وأكثرها الزيتون ولذلك نسبت إليه ، وعلى هذه المدينة سور كبير وأبراج عظيمة ، وهى مدينـــة

أبو الرقراق أو أبو رجرج وهو نهر مزدوج يصب فى البحر بمصب واحد[١] وعلى ضفته الشرقية عند المصب مدينة سلا[٢] وعلى ضفته الغربية مدينة رباط الفتح[٣]، وهما مدينتان توأم، ثم وادي أم الربيع[٤] وقرب مصبه تقع مدينة آزمور[٥] ثم وادي تانسيفت[٦] وتقع على أحد فروعه مدينة مراكش[٧] ، ثم وادي السوس[٨] الذي يجرى

جليلة فيها الأسواق العامرة وبين مكنسه وفاس أربعون ميلاً في جهة المغرب ومكناسة مرتفعة على الأرض ويجرى في شرقيها نهر صغير عليه الأرحاء ، وتتصل بها عمارات وجنات وزروع ، وأرضها طيبة الزراعات ، ولها مكاسب وأحوال صالحة . وبينها وبين قصر عبد الكريم ثلاثة مراحل . (الحميري : الروض المعطار ص ٥٤٤ ، مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م . ص ١٨٧)

(١) أبو الرقاق : نهر يمر على مدينة الرباط من الشرق ويصب في المحيط عند مدينة سلا . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص٢٠٧-٢٠٩)

(٢) سلا : مدينة على ساحل المحيط ، فالبحر يقع في شمالها والنهر يقع في غرب سلا يأتيها النهر من جنوبها ، وفيه نهر كبير تجرى فيه السفن أقرب منه إلى البحر . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣ /٢٣١)

(٣) رباط الفتح : مدينة اختطها الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وأتمها ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور تقع أمام مدينة سلا على ضفة النهر الغربية . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص٢٠٧ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٤٤٥)

(٤) أم الربيع : نهر يجاز بالمراكب سريع الجرى كثير الانحدار والصخور والجنادل فيصل بين إقليم تامسنا وإقليم دكالة وتقع عليه مدن ويصب عند مدينة آزمور في المحيط . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٧ . الحسن الوزان : مصدر سابق ص١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٩٩)

(٥) آزُمور : تقع على ساحل المحيط ، عند مصب نهر أم الربيع على مسافة (٩٠كم) من مدينة باتجاه الشمال . بلد في جبال البربر في إقليم دكاله . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٦٦ ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ١٦٩/١)

(٦) تانسيفت : نهر يقع على ثلاثة أميال من مراكش وليس بالكبير لكنه دائم الجري . (الإدريسي: نزهة المشتاق ص ٢٣٥)

(٧) مراكش : أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن (ملك دولة الموحدين) وهى في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر ، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين أمير دولة (المرابطين) الملثمين في حدود ٤٧٠هـ/١٠٧٩م وبينها وبين جبل درن الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ وهو في جنوبها وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل ، كان إذا انتهى القوافل إليه قالوا مراكش معناها بالبربرية أسرع المشي . (ياقوت الحموي : مصدر سابق ٩٤/٥)

(٨) السوس : اسم السوس من الصوف ، والسوس الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي (جنوب المغرب الأقصى) وتقدر المسافة بين القيروان إلى السوس الأقصى بثلاثة آلاف فرسخ ... ومنطقة السوس وراء جبال أطلس باتجاه الجنوب ... وتبدأ عند ساحل المحيط غرباً وتنتهي في رمال الصحراء جنوباً ، وتنتهي شمالاً عند جبال الأطلس وتنتهي في الشرق في نهر يسمى نهر السوس . (ياقوت الحموي : نفس المصدر ٢٨١/٣ ، الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٢٤)

في إقليم السوس الغنى ، وهو إقليم ذو هيئة مثلثة ينحصر بين فرعي جبال الأطلس[١] والمحيط الأطلسي ومن أهم مدنه تارودانت[٢] واغادير[٣] ثم وادي درعه[٤] في أقصى الجنوب ، وما وراء ذلك تمتد صحارى المغرب . ولدرعة نهر مشهور يجرى في غربيها ينزل من ربوة حمراء عند جبل درن ومن مدن وادي درعه ، لمطه وجزوله[٥] .

- **أقاليم المغرب الأقصى ومدنه :**

ينقسم المغرب الأقصى إلى ثلاثة أقاليم ذات وحدة جغرافية متماسكة تقوم فيها[٦]:

١) إقليم الساحل الشمالي : المعروف تاريخيا بإقليم طنجه ، ويشمل الشريط الساحلي الشمالي ، ثم منطقة الريف الجبلية ، وهى ليست فرعاً من جبال

---

(١) جبال الأطلس : يطلق عليها اسم جبال درن ويذكر البكري انه جبل معترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها وهو الجبل الذي يقال أنه متصل إلى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل إلى بلاد السوس. ويذكر الإدريسي أن جبل درن الأعظم الذي ليس جبل مثله إلا القليل في السمو وكثرة الخصب وطول المسافة واتصال العمارات ومبدؤه من البحر المحيط في أقصى السوس ويمر مع الشرق مستقيما حتى يصل إلى جبال نفوسه . (البكري : مصدر سابق ص ١٦٠ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩)

(٢) تارودنت : حاضرة (عاصمة) السوس الأقصى، واليها يجتمع أهله . (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ٤٤٧)

(٣) أغادير : قلعة واقعة عند النهاية القصوى لجبال أطلس التي تتقدم على المحيط قرب المكان الذي يصب فيه نهر السوس في البحر المحيط (المحيط الأطلسي) . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص)١٣٠

(٤) وادي درعه : يعتبر قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة وهى على نهر سجلماسة ومن أرض درعه إلى بلاد السوس الأقصى أربعة أيام . وتوجد مدينة في وادي درعة اسمها درعة صغيرة بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ وبها ثمرة القصب اليابس وبها تجار يهود وبها مدن مثل جزوله ولمطة تابعة لوادي درعة . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٦-٢٢٧ ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماة : تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين ديسلان ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص١٣٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٥١/٢)

(٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥

(٦) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٢٤ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢١٧-٢٢١ ، أبو الفداء : مصدر سابق ص ١٢٢

الأطلس ، وإنما هي فرع من الجبال الأيبيرية ، ويتبعها السهل الواقع جنوبي جبال الريف ويعرف بإقليم الهبط[١] أو إقليم أزغان[٢] .

٢) والإقليم الثاني حوض نهر سبو : أو يشمل الجزء الشمالي من ساحل المغرب الأقصى المطل على المحيط الأطلسي ، وهو سهل فسيح يمتد جنوبا حتى يصل إلى حوض وادي أبو الرقراق أو أبو رجرج ، ويشمل جزءاً كبيراً من السفوح الغربية لجبال الأطلس . وهذه المنطقة هي المهد الحقيقي لتاريخ المغرب العربي الإسلامي[٣] .

٣) الإقليم الثالث جنوب نهر سبو حتى وادي السوس : ويشمل الإقليم حوض نهرى وادي أم الربيع وواد تانسيفت وهذه منطقة واسعة وغنية من المنطقة الشمالية لأن الجبال تنسحب هنا كثيراً إلى الداخل تاركة سهلا ساحلياً فسيحاً يسمى ساحله بريف تامسنا[٤] شمالا وريف دكالة[٥] جنوباً . وتنقسم جبال أطلس إلى أطلس التل وأطلس الداخلية ، ويقع إقليم السوس أو وادي السوس يقع على الساحل بين فرعى جبال أطلس[٦] .

- **مدن المغرب الاقصى :**

مليلة : ميناء يقع على ساحل البحر المتوسط من جهة الشرق حيث يقع نهر المولوية شرق هذه المدينة[٧] .

---

(١) إقليم الهبط : يبدأ من نهر الورغة وينتهي شمالا على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وتتاخم من الغرب مستنقعات أزغار (مستنقعات نهر لقس أو لوكس) ومن الشرق الجبال التي تطل على أعمدة هرقل (تجاه سبتة) من تطوان حتى طنجه على ساحل البحر المتوسط والمحيط حتى مدينة العرائش . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٩٨-٣٠٥)

(٢) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٢٤

(٣) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ١٢٤

(٤) تامسنا : تقع بين نهر أم الربيع وينتهي شرقاً عند نهر أبو الرقراق ، وينتهي في الجنوب عند جبال الأطلس ويحاذى من الشمال المحيط الأطلسي . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ٢١٢)

(٥) دكالة : يبدأ من الغرب نهر تانسيفت ، وينتهي شمالاً على المحيط الأطلس جنوبي نهر العبيد وغرب نهر أم الربيع ، وتمثل هذه المنطقة مسافة أربعة أيام طولاً ويومين عرضاً تقريباً . (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٥٧ في الهامش.)

(٦) حسين مؤنس : نفس المرجع السابق ص ١٢٤

(٧) مليلة : مدينة تابعة لطنجة : وهى قريبة من نهر ملوية بالمغرب وهى مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعة ، وفيها مسجد جامع وحمام وأسواق ، وهى مدينة قديمة ، ويقال إن

سبتة : تقع المدينة عند مضيق جبل طارق ، حيث التقاء البحرين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وتعتبر ميناءاً هاماً ، حيث ساعدت على ذلك جغرافية مدينة سبتة ، ووقوعها إلى القرب من أرض بلاد الأندلس ، ويذكر صاحب تقويم البلدان ومدخلها إلى جهة الغرب يضيق البحر المحيط (المحيط الأطلسي) بأكثرها ، ومن مميزات موقعها لو شاء أهلها أن يواصلوا البحر من الجهة الجنوبية لأصبحت جزيرة "[١] .

طنجه : تقع مدينة طنجة غرب مدينة سبتة عند مدخل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) إلى (البحر المتوسط)[٢] وأضيق اتساع للبحر يقع بين طنجه وسبتة ، ويفصل المضيق بينها وبين بلاد الأندلس[٣] .

مدينة قصر عبد الكريم : تقع جنوب مدينة سبتة وطنجة[٤] .

مدينة مكناس : تقع غرب مدينة قصر عبد الكريم ، وشمال مدينة فاس[٥] .

مدينة سلا ، ومدينة رباط الفتح ، ومدينة العرائش .

مدينة فاس : يذكر الاصطخرى أن فاس عاصمة إقليم طنجة حيث يصفه بقوله " طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها فاس "[٦] وقسمت لعدوتين عدوة الأندلسيين أقام بها قبائل أندلسية على أيام الإمام إدريس الثاني بعد أن أوقع بهم الحكم بن هشام وأجلاهم إلى المغرب صعدوا إلى مدينة فاس فأنزلهم العدوة التي نسبت إليهم ، أما عدوة القرويين فأنزل العرب القيسية والفرس[٧] .

موسى بن أبى العافية المكناسى جددها وسكنها قوم يقترعون على من يدخلها من التجار ، فمن أصابته قرعة الرجل منهم كانت متاجرته على يديه وتحت نظرة وإشرافه . (الحميري : الروض المعطار ص ٥٤٥، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٣٤٣ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٥)

(١) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٤٣٩

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٣/٤ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص١٣٣

(٤) البكري : مصدر سابق ص ١٥٤

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٦

(٦) أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق : القاهرة ١٩٦١م ، ص٣٤

(٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٤٦ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس ، (مخطوطة بالهيئة المصرية العامة للكتاب رقم ح ٩٧٣٢ ، وميكروفيلم رقم ١٠٩٨٨) ، ورقة ٧

مدينة تادلة : تقع في شرق المغرب الأقصى حيث تفصل بين فاس وتلمسان في المغرب الأوسط . من جهة الشرق وهى بين جبال صنهاجة ، ويحدها جبال درن من غربها حتى المحيط ، ومن جهة الجنوب تقع بين فاس ومراكش[١] .

مدينة مراكش: وقد وصفها ابن بطوطة في رحلته بأنها " المدينة جميلة من أجمل المدن "[٢] .

مدينة أغمات : كانت حاضرة بلاد المغرب قبل تأسيس مراكش في عصر المرابطين ، وهى مدينتان متقابلتان ، وهى قرب مراكش بثلاثة فراسخ ومن ورائها إلى جهة الغرب البحر المحيط ومنطقة السوس الأقصى بأربع مراحل ، من جهة الجنوب الشرقي مدينة سجلماسة بثماني مراحل ، وتقع في سفح جبل درن[٣] .

مدينة سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب في بداية طريق بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام ، وهى من منقطع جبل درن في وسط رمال ، ويمر نهر كبير يأتي من شرق سجلماسة وجنوبها فيمر من شرقيها وغربها ويعتبر منابع نهر المولويه الذي يصب في البحر المتوسط[٤] .

مدينة درعة : في أقصى الجنوب وما ورائها صحراء[٥] .

مدينة تارودانت : من وادي السوس الأقصى ، ثم مدينة نول لمطة وجزوله من وادي درعة تقع في أقصى جنوب المغرب على حدود بلاد السودان بينها وبين البحر المحيط (المحيط الأطلسي) ثلاثة أيام[٦] ، والمتجه لبلاد السودان من المغرب يقابل مدينة أزكى أول الصحراء لبلاد السودان وبينها وبين نول[٧] لمطة سبع مراحل[٨] .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٦/٢ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥

(٢) شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي بن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (رحلة بن بطوطة) ، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج٢ ص ١٨٨

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٢٥/١ ، البكري : مصدر سابق ص ١٥٣ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥

(٤) ياقوت الحموي : نفس المصدر ١٩٢/٣ ، أبو عبد الله زكرياء محمد محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص٤٢، أبو الفداء: نفس المصدر ص ١٣٧

(٥) حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٥٥-٦١

(٦) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢١-٢٢٤

(٧) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٥

(٨) نول لمطة مدينة في المغرب الأقصى، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل ومنها إلى البحر ثلاثة أيام ، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزوله ولمطة . وتقع في

- **نبذه عن دولة الموحدين :**

مؤسس دولة الموحدين هو محمد بن تومرت الهرغي الذي ولد ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م على وجه التقريب ، وقد جعل نسبه إلى آل البيت ويوجد اختلاف في ذلك واتجه ابن تومرت إلى الدراسة والعلم ، فدرس في بلده ثم في مراكش وفى حوالي ٥٠٦هـ/١١١٢-١١١٣م ثم شرع في رحلة دراسة طويلة إلى المشرق .

ولا شك في أن ابن تومرت كان رجلاً فائق الذكاء ، وكان العلم عنده نقطة بداية وطريقاً يوصله لتحقيق غاياته السياسية . فقد كان النجاح الذي لقيه المرابطون في إقامة دولتهم بفضل تفكير الفقيه عبد الله بن ياسين محركاً لهمم المصامدة في إنشاء دولة لهم حيث أن ابن تومرت والمصامدة يمثلون معظم سكان المغرب الأقصى وهم قبائل ضخمة ذات قوة وعدد ، تمتد من شمال المغرب الأقصى إلى جنوبه ، ولا ينقصها إلا توحيد الصفوف والقيادة السليمة[١] التي تمثلت في محمد بن تومرت .

وقد أتاحت الظروف للموحدين هذه القيادة في شخص الفقيه المصمودى من قبيلة هرغة التي تسكن في ناحية من نواحي جبال الأطلس العليا على سهل السوس[٢]

ومنيت جيوش المرابطين بالهزيمة أمام جيوش الموحدين[٣] حتى اقتربوا من أغمات[٤]، وقتلوا الكثير من أهلها، وتوجه ابن تومرت إلى تينملل[٥]، واتخذها مقرا له

أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط (المحيط الأطلسي) وعليه قبائل لمطة ولمتونة ، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ثلاث مراحل وقد سميت " نول لمطة " لأن قبيلة لمطة يسكنونها وهى آخر بلاد السوس. (الحميري : الروض المعطار ص ٥٨٤. تقدر المرحلة: ٤٤.٥٢٠ كيلو متر ، وتقدرالأربعة أيام : ١٧٨.٠٨ كيلو متر ، علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية دار الرسالة القاهرة الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م ص٣٢- ٧٠

(١) البيذق ، أبو بكر بن على الصنهاجي : أخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حجايات ، المؤسسة الوطمية للكتاب ، ط٢ ، الجزائر ، ١٩٨٦ ، ص ١١ – ٣٠ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٢٠٣

(٢) المراكشي : المعجب ص ١٩١ ، حسين مؤنس : نفس المرجع ص٢٠٣

(٣) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : مرجع سابق ص٢٦٥

(٤) ابن قطان : نظم الجمان ص ١١٦ . أغمات : قرب مراكش بثلاثة فراسخ وهى في سفح جبل وهى للمصامدة (الفرسخ = ½ ٢كيلومتر) ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ١ / ٢٢٥

(٥) تينملل : في قلب جبل درن (أطلس) قريبة من منابع وادي نفيس الذي يجرى جنوب نهر تانسيفت . (حسين مؤنس : مرجع سابق ص٢٠٧)

لحصانتها وحسن موضعها . وشيد حصن على رأس الجبل يكشف ما وراء الجبل ، والمدينة حصينة ، والدخول إليها صعبا عسيراً[1] . ولما شعر ابن تومرت بقوته وازدياد أنصاره ، حشد الجيوش للاستيلاء على مراكش عاصمة المرابطين وإسقاط دولة المرابطين وحاصر جنده مراكش أربعين يوما ، ولكن جيوش المرابطين كانت أكثر عددا وقوة من جيوش الموحدين ، لذلك هزم المرابطون الموحدين . ولم يسلم من الموحدين إلا القليل وفر من استطاع الفرار من المعركة، واتبعهم المرابطون من مراكش إلى أغمات فأمعنوا القتل فيهم ، ولم ينج منهم إلا القليل . وكان ابن تومرت مريضا بتينملل وأوصى أن يخلفه عبد المؤمن بن على، وتوفى ابن تومرت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م[2] وانتصر المرابطون علي الموحدين في هذه المعركة .

ويستوقف الباحث كثرة هزائم المرابطين على يد الموحدين على الرغم من أن قادة جيوش المرابطين كانوا أفضل قادة الدولة . فى الوقت الذي كانت فيه الجيوش المرابطية تصد أعتى وأقوى الجيوش النصرانية في الأندلس .ويبدو أن هناك عدة عوامل أسهمت في وقوع هذه الهزائم ، منها :

أولاً: الإستراتيجية العسكرية التي اتبعها ابن تومرت في قتاله مع المرابطين، فقد ساعدته وعورة أرضه على عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة ، حيث كان ابن تومرت وأتباعه يقاتلون على أرض خبروها وعرفوا مسالكها (أطلق علي هذه الحرب بنظام الكر والفر) .

ثانياً: كان أتباع ابن تومرت يقاتلون بمعنويات عالية بعد أن بايعوه على أنه المهدي في الوقت الذي كانت فيه معنويات الجند المرابطين منهارة ، فكانوا ينهزمون دون قتال لغلبة التردد عليهم وعدم وضوح الهدف .فكان الجندي المرابطى في حيرة فهو يقاتل مسلمين من أبناء بلدته ، ولذلك كان يفضل الفرار على الصدام[3] (واستغل ابن تومرت الوازع الديني) .

---

(١) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢١ ، عصام الدين عبد الرؤف : نفس المرجع ص ٢٦٦

(٢) ابن القطان : المصدر السابق ص ١٢١، محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص ١٨٨

(٣) سلامه محمد : مرجع سابق ص١١٤ ، على محمد الصلابى : مرجع سابق ص ٦٧

- **حكام دولة الموحدين :**

– عبد المؤمن بن على :

بايع أصحاب ابن تومرت عبد المؤمن بن على[١] وقد اختار الموحدون عبد المؤمن بن على لزعامتهم ، لما عرفوه من خاصية ابن تومرت له وتقريبه إليه واطرائه لصفاته وتقديمه إياه فى الصلاة ، والى ما لمسوه من فضله وعلمه ودينه وقوة عزيمته وحسن سياسته ورجاحة عقله وشجاعته[٢] . وقد تولى عبد المؤمن بن على فى ظروف حالكه منذره بالفتنة وكانت مهمته عسيرة وصعبة . فقد كان عليه أن يعيد الثقة الى نفوس الموحدين ، وأن يعيد تنظيم صفوفهم تمهيداً للمعركة المقبلة الفاصلة ، ولهذا السبب شغل طوال الشهور الاولى من خلافته فى رأب الصدع ، وتأليف القلوب وتعبئتها لمدافعة المرابطين . فلما تم له ذلك اعتزم مواصلة الجهاد ضد المرابطين[٣]. وازدادت قوة الموحدين ، وعظم شأنهم ، وتتابعت ثوراتهم ضد المرابطين فساءت أحوال بلاد المغرب ، وتدهور الوضع الاقتصادى ، وكسدت التجارة وانحطت الزراعة ، فانتشرت المجاعات وارتفعت الاسعار[٤] .

وقد أبدى المرابطون بسالة كبيرة في الدفاع عما بأيديهم من البلاد رغم الظروف العصيبة التي أحاطت بهم فلم يستطع عبد المؤمن بن على الاستيلاء على فاس إلا بعد حرب طويلة وحصار شديد داما تسعة أشهر في ذي القعدة ٥٤٠هـ / أبريل ١١٤٦م[٥] .

وفى محرم ٥٤١هـ/ يونيو ١١٤٦م دخل عبد المؤمن بن علي مراكش وقتل إسحاق بن على بن تاشفين ونفراً من أمراء المرابطين . وبذلك انتهت الدولة المرابطية وأصبح الموحدون سادة المغرب الأقصى ، الذي يشمل البلاد الممتدة من ساحل البحر

---

(١) البيذق : مصدر سابق ، ص ٥٦ ، على محمد صلابى : دولة الموحدين ص ٧٧

(٢) حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع والصفحة

(٣) مارمول كرفجال : أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، ومحمد زنيبر ، وآخرون ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ، الرباط ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، ص ٣٣٨

(٤) عصام الدين عبد الرؤف : مرجع سابق ص ٢٦٦

(٥) البيذق : مصدر سابق ص ٩٩ ، أبى الحسن على بن عبد الله بن ابي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق محمد الهاشمي الفلالي ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ج ١ ، ص ١٢٣

المتوسط إلى وادي درعه ، وامتد شرقاً من المحيط الأطلسي إلى شريط من الأرض شرقي نهر المولوية[١] .

وتعتبر فترة حكم عبد المؤمن بن على التي دامت أربع وثلاثين سنة فاتحة عصور الازدهار في تاريخ المغرب . ولقد ورث عبد المؤمن عن محمد بن تومرت قوة عسكرية وسياسية ضخمة ، فعرف كيف يستخدمها في إنشاء اكبر دولة عرفها تاريخ المغرب في العصور الوسطى . فقد امتدت من خط الوادياة في الأندلس إلى وادي درعه في جنوب المغرب ، وترامت من المحيط (الأطلسي) إلى أحواز طرابلس . وقد أبدى الرجل نشاطا واسعاً وذكاء كبيراً في إنشاء هذه الدولة[٢] ، وهو يعتبر المؤسس الحقيقي بعد ابن تومرت في إنشاء دولة الموحدين ، وكان قد ولد بمدينة تاجررت في إقليم تلمسان في المغرب الأوسط ، وحكم بلاد المغرب والأندلس ٣٤ سنة من ٥٢٤-٥٥٨ هـ / ١١٣٠- ١١٦٣م[٣] .

- **<u>خلفاء عبد المؤمن بن على من أبنائه :</u>**

١) أبو يعقوب يوسف ٥٥٨-٥٨٠هـ /١١٦٣-١١٨٤م[٤] .

وكانت سلطته تمتد على بلاد المغرب والأندلس ، حكم مدة اثنين وعشرون سنة .

٢) أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م .

وكانت سلطته تمتد على بلاد المغرب والأندلس ، حكم مدة خمس عشرة عاما[٥] ووصلت دولة الموحدين ذروتها في عهده الذي يعتبر العصر الذهبي[٦]، ومن انتصاراته على الصليبيين في الأندلس موقعة الأراك ٥٩١هـ/ ١١٩٤م[٧]

٣) أبو محمد عبد الله الناصر ٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م .

حكم مدة خمسة عشر عاماً، وقضى على ثورة بني غانية في أفريقية ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م ، وقضى عليهم نهائياً قرب قابس ، وعلى أثر ذلك دخل الموحدون تونس

---

(١) البيذق : المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٠٤ ، حسين مؤنس : مرجع سابق ص ٢١٣-٢١٤

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ص٢٢٠

(٣) خير الدين الزركلى : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، مطبعة كوستاستوماس ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج٤ ص٣١٩

(٤) خير الدين الزركلي : المرجع السابق ج٩ ص٣١٨

(٥) نفس المرجع ج٩ ص٢٦٧ وما يليها

(٦) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٢٣

(٧) حسين مؤنس : نفس المرجع ص٢٢٦

والمهدية . وانهزم عبدالله الناصر في موقعة العقاب ضد النصارى في الأندلس سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م[١]. وتعتبر هذه الموقعة هي الحد الفاصل بين قوة دولة الموحدين وضعفها وبداية انهيارها . فقد أصاب دولة الموحدين بعد الهزيمة الوهن والضعف بسبب الصراعات العسكرية التي نشبت في سائر أرجائها وكان من نتائجها قيام عدد من الكيانات السياسية الجديدة على حساب الدولة الموحدية[٢] .

٤) يوسف بن محمد الناصر، يكنى بالمستنصر ٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٤م.

وبداية عصر الضعف والانهيار ، دامت فترة حكمه نحو عشر سنوات (كان صبياً صغيراً وعندما مرض والده الناصر اختار من أشياخ الموحدين أوصياء علي المستنصر في الحكم) ولكن أشياخ الموحدين انفردوا بالحكم ،وتغلبوا عليه[٣] .

٥) أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المخلوع ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م، حكم لمدة شهرين ثم خلع وقتل[٤] .

٦) أبو عبد الله بن يعقوب المنصور العادل ٦٢١- ٦٢٤هـ /١٢٢٤- ١٢٢٧م.
وكان والى مرسية ، ودعا إلى مبايعته اشياخ الموحدين ؛ وخلعوا عمه عبد الواحد[٥] .

٧) يحيى بن الناصر ٦٢٤-٦٢٧هـ / ١٢٢٧-١٢٣٠م . وقد اختاره الموحدون في مراكش بعد مبايعتهم للمأمون والى أشبيلية وأخي العادل [٦]

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ، ومحمد بن تاويت ، قسم الموحدين ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٣ ، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ، ج ٢ ص٣١٣

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٧٥

(٣) ابن أبي زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المارينية ، دار المنصور للطباعة ، الرباط، ١٩٧٢م، ص٥٤، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٦-١٩٨، عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ٢٦٦ ، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ، ج ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٢٨ -٣٣٠

(٤) محمد عبد الله عنان: نفس المرجع ص ٣٥٠

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ص ٤٧ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٦٢ ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ١٢٩

(٦) ابن أبى زرع : الأنيس ص ١٦٦ وما يليها ، ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ٤١١

٨) **المأمون بن المنصور ٦٢٤-٦٢٩هـ / ١٢٢٧- ١٢٣١م** . حيث أوعز إلى أشياخ الموحدين بعزل أخيه العادل[١] .الذي خطب له بالفعل على منبر جامع المنصور وخوفاً من بطشه نكث أشياخ الموحدين بيعته وبايعوا يحيي بن الناصر ولهذا استعان بالفرنج القشتاليين لمحاربة الموحدين في المغرب الأقصى[٢] .

ودخل المأمون مراكش وفر يحيى بن الناصر ، وبادر اشياخ الموحدين الى بيعته واستقر فى كرسى الخلافة[٣] وأصدر مرسوماً الى سائر البلاد بازالة اسم المهدى (محمد بن تومرت) من الخطبة والسكة ، ومحو اسمه من المخاطبات ، وقطع النداء عند الصلاة بالنداءات البربرية[٤] .

٩) **الرشيد بن المأمون بن المنصور ٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٣٢-١٢٤٢م** . حكم عشر سنوات كثرت فيها الاضطرابات والمجاعات[٥] .

١٠) **السعيد على أبو الحسن ٦٤٠-٦٤٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٤٨م** . حكم ست سنوات[٦] .

١١) **أبو حفص عمر المرتضى ٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م** . حكم تسع عشرة سنة ، وكان في فترة حكمه أيام دعه وهناء لمدة خمسة عشر عاماً ، ولكن في أواخر حكمه حدثت اضطرابات وفتن وحروب أهلية ومجاعات[٧].

١٢) أبو دبوس الواثق بالله ٦٦٥-٦٦٨هـ / ١٢٦٦-١٢٦٩م . حكم ثلاث سنوات كانت الدولة في نهايتها من اضطرابات وانهيار[٨] .

---

(١) ابن أبى زرع : نفس المصدرالسابق ص ١٦٦ وما يليها ، ابن الخطيب : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤١١

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٧، أبى عذارى المراكشي: البيان المغرب ص ٢٦٥

(٤) ابن أبى زرع : نفس المصدر ص ١٦٧ وما يليها ، ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٢٦٧ وما يليها ، ابن الخطيب : الإحاطة ج١ ص ٤١١ وما يليها

(٥) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٣١٥ وما يليها

(٦) محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ٦٢٧

(٧) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ٣٤٧ ، ابن أبى زرع : الذخيرة السنية صـ ٩٧ ، ابن أبى دينار : المؤنس صـ ١٤٩ ، ١٥٠

(٨) ابن أبى زرع: نفس المصدر ص ١٧٥ ، ابن عذارى المراكشي: نفس المصدر ص ٤٤٦ ، ابن أبي زرع : الذخيرة السنية ص ١٢٥ ، محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ص ٥٥٨

- **نهاية دولة الموحدين :**

شهدت البلاد تدهورا واضحاً في سائر الأوجه ، فتلاحقت بوادر الضعف الحكومي ، وانعدم الأمن في الطرقات وظهرت المنكرات ، بينما امتنع عامة الناس عن أداء الضرائب[١]. وازداد الأمر خطورة بأن انتابت السلطة المركزية فوضى بعد وفاة المستنصر (٦٢٠هـ / ١٢٢٤م)[٢] وأصبح أشياخ الموحدين يتلاعبون بملوكهم فخلعوا عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ثم قتلوه (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) وبايعوا – بعده– العادل ثم خنقوه وبايعوا المأمون ، ثم نكثوا وبايعوا ابن أخيه يحيى. ورافق هذه غلاء ومجاعات اجتاحت المغرب والأندلس سنوات طويلة. وقد نشأ عن هذا كله انحلال الدولة الموحدية . وتوقفت الحراثة في بوادي المغرب الأقصى . وقد أدى ذلك إلي تفكك الدولة الموحدية وعم الخراب في المدن . ففي فاس اضمحلت كثير من المنشآت الصناعية والعمرانية[٣] وكثر الخراب في مراكش[٤] وظهرت دويلات مستقلة في المغرب عن دولة الموحدين مثل الدولة المرينيه التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية التي أصابها الوهن والضعف بعد هزيمتها في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م[٥] . وتعتبر هذه الموقعة هي الحد الفاصل بين بداية انهيار الدولة الموحدية وبداية دولة بني مرين .

---

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٣٥ ، ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٧٠

(٢) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ٥٤، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٦-١٩٨، عبد الواحد المراكشي : المعجب ص٢٦٦

(٣) الجزنائى : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب منصور ص ٣٤ ، المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٧م ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٢٩

(٤) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ص ٣٢٤-٣٢٥

(٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، الذخيرة السنية ص ١٥ .

ولم يكن لهم مكان محدد يستقروا فيه فهم (المرينيين) قبيلة بدوية ينتقلون من ذات أفريقيا إلى سجلماسة بحثاً عن الكلأ والماء وظل الوضع هكذا حتى قام الخلاف بينهم وبين بني عبد الواد فكان هذا إيذاناً لهم بالاستقرار بجبال وادي ملويه وهو الجبل الفاصل بين المغرب والصحراء، ولقد كانت بني مرين من القبائل الكثيرة العدد القوية الشكيمة ، يعيشون حياة قبلية أقرب إلى حياة الصيد والصحارى ، وتعد الفروسية والغارات من دعامات حياتهم البدوية ، فكان لا بد لهم أن يستغلوا الظروف التي تعيشها الدولة الموحدية ليقيموا دولتهم أسوة بدولة المرابطين والموحدين من قبلهم . وقد كان المرينيون من القبائل التي دخلت في طاعة الموحدين في بدايتها وفى عهد يعقوب المنصور ٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م ساهم المرينيون في معركة الارك وفى سنة

وكذلك قيام دولة بني عبد الواد بتلمسان سنة ٦٣٣هـ /١٢٣٥م [١].
والدولة الحفصية بتونس[٢] سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م . ومن جانب اخر فقد حفزت تلك الأوضاع المتردية الممالك الأسبانية في الأندلس فخرجت عن طاعة الموحدين ، وهى التي أفضت إلى خراب الأندلس[٣] وكانت السبب القوى في مهاجمة الروم للبلاد ونجاحها في الإستيلاء عليها . فأخذت مدن أندلسية تسقط بيد أسبانيا النصرانية دون أن يستطيع الموحدون الدفاع عنها[٤] فلم يبق للمسلمين

٦١٠هـ /١٢١٢م دخلت طائفة من بني مرين المغرب كعادتهم في البحث عن المراعى ومساقط المياه ، فوجدوا المغرب خاليا فدخلوا بلاد المغرب بقيادة عبد الحق بن محيو المريني أول من تزعم بني مرين ضد الموحدين وأول من رسم الخطوط العريضة لدولة بني مرين ، وأرسل لهم المستنصر جيش لمحاربتهم وانهزم جيش الموحدين وبذلك استتب الأمر لبنى مرين . إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م ، ج ٢ ص١٢

(١) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٧٢-٨٦ ، محمد عبد الله التنسي : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بو عياد ، الجزائر ١٩٧٥م ص ١١٥

(٢) الحفصيون : تنسب إلى الشيخ أبى حفص يحيى بن عمرو الذي ينتمي إلى قبيلة هنتاتة أعظم قبائل المصامدة التي عاشت بالمغرب الأقصى ، وكان للشيخ أبى حفص مكانة سامية في دولة الموحدين ، وكان لأولاد ابى حفص وأحفاده منزلة رفيعة في الدولة ، وتقلدوا في مناصب الإدارة في المغرب والأندلس ، وبعد أن تولى أمر الدولة الموحدية العادل بن يعقوب سنة ٦٢١هـ /١٢٢٤م عهد بولاية افريقية إلى أبى محمد عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص وكان في صحبته أخوه أبو زكريا . وما كادت الأمور تستقر في افريقية حتى قفز على منصب الخلافة الموحدية أبو العلاء إدريس المأمون سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م بعد ثورة قادها ضد أخيه العادل ، فرفض أبو محمد عبد الله الحفصى بيعته والدخول في طاعته ، فما كان من الخليفة الجديد إلا أن كتب بولاية أفريقية إلى ابى زكريا يحيى ، فقبلها على الفور وسارع من تونس إلى القيروان وتغلب على أخيه ابى محمد وتولى أمر البلاد سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م. (ابن ابى دينار : المؤنس، ص ١٢٧ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٨٩ ، ١٨٠، ١٨١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٩٧ ، عقيله مراجع : سقوط دولة الموحدين ، منشورات جامعة بنغازي طبعة أولى بيروت ١٩٧٥م ص ٢٧٩- ٢٨١

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعي بن الآبار : التكملة لكتابة الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص١٦٧

(٤) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص ٥١ .
ففي سنة ٦٢٥هـ /١٢٢٧م قام ابن هود بمرسية وشرق الأندلس وقضى على النفوذ الموحدى بالأندلس ، وتارة الحروب بينه وبين ابن هود ، وفى خلال هذه التقلبات التي مرت بالأندلس كانت القواعد والمدن والحصون تتساقط بيد أسبانيا النصرانية ، وقد انهارت مدن الأندلس الكبيرة فيما بين سنة ٦٣٣ - ٦٤١هـ / ١٢٣٦ - ١٢٤٣م فصخرة قرطبة وإشبيلية وجيان ومرسية...،

غير غرناطة[1] تحت لواء محمد بن نصر ابن الأحمر الذي اتخذها مقراً لمملكته سنة ٦٣٠هـ /١٢٢٣م .

وكان عدد من الجهات ينزل عنها ابن هود وابن الأحمر فيتملكها هؤلاء الأسبانيون بدون قتال ، وقد بلغت الجزية التي كان يؤديها ابن هود أربعمائة ألف دينار سنوية . ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٩٧ ، يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ط٢ القاهرة ١٩٥٨م ص ٤٤٥ ، محمد المنونى : الإمبراطورية الموحدية في دور الانحلال ، مجلة دعوة الحق ، العدد (٢) السنة الثامنة ١٩٦٤م ص ٥٨ ، المنوني : عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة ، طبعة ثانية الدار البيضاء ١٩٩٦م ص ١٣ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٣٤

(١) خرج الشيخ محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م عن سلطة الموحدين فعلياً سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م بمدينة ارجونه وتتابعت المدن الأندلسية في الدخول في طاعته كجيانه وشرش حتى اخضع بقية المدن الأندلسية واتخذ غرناطة عاصمة له. (ابن عذارى : البيان ، قسم الموحدى ص ٢٩٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعمال في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار مكشوف ط(٢) القاهرة ١٩٥٨م ص ١٧-٢٢-٤٧٠، يوسف شكري فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط (١) بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٩-٣٢)

obeikandl.com